Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل فيك نور الله – جلّ جلاله لِذِي البصائر يُستَشَفُّ، فيلمع[1]

وكأني به يفيق أخيرًا من غفوته ، فيشعر بأنّه انساق انسياقًا وراء عواطفه ، فيحاول انتحال بعض الأعذار لنفسه حتّى لا تلحقه لائمة لائم . ولِمَ يُعاتَب ؟ وهو لم يزد على سكب دموعه على خيرة آل محمّد – عليهم الصّلاة والسّلام – وقد تقاسمت الأعداء أشلاءهم ، واسترقّوا حرائرهم! هذا ما يزعمه فعلاً ، وهو ينشد :

وحريم آل محمّد بين العدى نهب تقاسمه اللّئام الرّضّع
تلك الظّعائن كالإماء ، متى تسق يعنّف بهنّ وبالسّياط تقنّع
تالله ! لا أنسى الحسين وشِلوه[2] تحت السّنابك بالعراء موزّع[3]
لهفي على تلك الدّماء تراق في أيدي أميّة عنوة وتضيّع ![4]

بيد أنّ ابن أبي الحديد لم يدم على تطرّفه ذاك ، إلاّ ردحًا من الزّمن . فبمجرّد وصوله بغداد ، واختلافه إلى مجالسها العلمية ، واحتكاكه بأوساط متنوّعة المذاهب ، مختلفة الاتّجاهات ، تفتّحت عقليته ، واتّسعت دائرة تفكيره . فبدأ يجنح شيئًا فشيئًا نحو الاعتدال حتّى انتهى – لا شكّ بعد تحليل وتمحيص عميقين – إلى اعتناق مذهب الاعتزال .

ولعلّ ما هوّن عليه هذا الاختيار الجديد ، إنّما هو قرب المعتزلة – البغداديين خاصّة – من العلويين ، لا سيما الزّيدية منهم .

وقد استطاع ابن أبي الحديد أن يوفّق بين نزعته العلوية الموروثة من أجداده ومدينته ، وبين مذهبه الجديد . فقد بقي يناصر الدّعوة العلوية ، كما ظلّ محافظًا على تعلّقه الشّديد بالإمام علي وبنيه ، عليهم السّلام .

---

1 نفس المصدر : الورقة 11و .
2 الشِّلو : ج أشلاء وهي أعضاء الجسد بعد تفرّقها وبلائها .
3 السّنابك : واحدها سُنُبُكٌ ، وهي حوافر الدّوابّ أو أطراف السّيوف .
4 العلويات : الورقة 13و .